البشر، كالرحمة والإحسان فإنهما واجبان لجميع الناس، بل يتعديان الإنسان إلى الحيوان ولا يفرق فيهما بين حبيب وبغيض، وبين حالات الشدة وحالات الرخاء إذ الإنسان المسلم وإن كان مطالباً بأن لا تأخذه هوادة، وأن لا يتردد في تنفيذ أمر ا، كإقامة حدوده وجهاد أعدائه، إلاّ أنّه مطالب بأن لا يتخلى في هذه الحالات من روح الرحمة والإحسان، ففي الحديث [إنّ ا عزّوجلّ كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته](1).

وكان رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) يحذر سراياه من التمثيل بأعدائهم، فعن صفوان بن عسال رضي ا عنه قال: بعثنا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في سرية فقال: (سيروا بسم ا وفي سبيل ا قاتلوا من كفر با ولا تمثلوا ولا تعذروا ولا تقتلوا وليداً)(2)، وعن ابن عباس رضي ا عنهما قال: كان رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) إذا بعث جيوشه قال: (أخرجوا بسم ا تعالى تقاتلون في سبيل ا من كفر با لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع)(3)، وعن أنس أن رسول ا (صلى ا عليه وآله) قال: (انطلقوا بسم ا وبا وعلى ملة رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) لا تقتلوا شيخاً فانياً ولاطفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنّ ا يحب المحسنين)(4).

وقد حرص الخلفاء الراشدون رضي ا عنهم على هذا المنهج في جميع حروبهم، فعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر رضي ا عنه بعث جيوشا إلى الشام فخرج يمشى مع يزيد بن أبي سفيان وكان يزيد أمير بع من تلك الأرباع فقا(لإني موصيك بعشر خلال، لا تقتل امرأة ولا صبياً، ولا كبيراً هر ماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة، ولا تعقون نخلاً ولا